الاجراء – الاجير والفلاح المعدوم الارض والذي يعمل بأجر عيني. الفلاحون المستأجرون الذين يدفعون ضمانا عينيا ،الفلاحون الذين يعملون في اراضيهم الخاصة فيمعظم الاحيان بمعاونة اجير واحد. الملاكون الذين يؤجرون اراضيهم بأجر عيني، وكذلك الملكية الزراعية الرأسمالية. وتبعا لذلك، فان فئة العمال الزراعيين الاجراء كانت خفيفة بشكل محسوس.

التحول الرأسمالي في الزراعة وتصاعد الصراع الطبقي في القرية:

أ – تطور الاقتصاد النقدي والتحول السلعي في الزراعة.

جرى انحلال الاقتصاد الزراعي العيني وتبديله باقتصاد نقدي بوتائر متسارعة في السنوات الاولى ما بعد الحرب العالمية، وقد ساعد على هذا العوامل التالية:

ب – اصلاح (العشر) الذي قام به الانجليز "حيث بدل العشر العيني بالعشر النقدي" وبهذا اصبح الفلاح ملزما بأخذ محصوله الى السوق.

ج – تطور السوق المحلية بشكل ملحوظ، بفضل الهجرة اليهودية وجيش الاحتلال الانجليزي، فساعدت ملايينالجنيهات الاسترلينية التي ادخلها الصهاينة الى البلاد على توسيع الدورة النقدية.

تحت ضغط جابي الضرائب الانجليزي من جهة،وتحت ضغط الرغبة في امكانية الربح نتيجة السعر المرتفع لمنتوجاته الزراعية من جهة اخرى، اخذ الفلاح في معظم الاحيان ينتج كي يبيع. وبذلك اخذ ينمو التحول السلعي في الزراعة وأخذت منتوجاته الزراعية تحتل حيزا اكبر في التصدير. وقد لاحظت مجلة التجارة والصناعة التي كانت تصدر في فلسطين عام ١٩٢٧ عملية التحول العميقة في الصادرات الفلسطينية.

اما بعد الحرب، فقد تغيرت نسبة التصدير بين مختلف السلع. اذ احتل بشكل اساسي البطيخ المكان الثالث والموز المكانالرابع. ومنذ عام١٩٢٦ تراجع الخمر وتقدمه عدد كبير من الفلال. وقد اكدت صحة هذه الملاحظة صادرات عام ١٩٢٧. وبالنسبة الى العام المنصرم ازدادت صادرات المنتوجات الزراعية الاساسية (غير البرتقال والخمر) بمقدار ٢٤٠،٠٠٠ جنيه استرليني، بينما هبطت صادرات عام ١٩٢٨ بفعل القحط.

من الخطأ رد التحول السلعي في الزراعة الى تحسن اوضاع المزارعين، فالصحيح هو العكس. وسنرى لاحقا ان اوضاع الفئة الاساسية منالفلاحين قد تدنت بشكل ملحوظ تحت نير الانتداب والاصلاح الانجليزي.

الانتاج من اجل السوق، والتنافس الحتمي في هذه الحالة، والحاجة الىملاءمة الانتاج الخاص بمتطلبات السوق، جميعها عوامل تحث الفلاحين على تبديل طرق الانتاج والتحول الى زيادة استغلال الارض الافقي. واصبحت الفئة الميسورة في القرية تستخدم السماد الاصطناعي، واخذت تظهر المحاريث وحتى الجرارات (بعدد محدود جدا) في القرى

المحيطة بالمدن الكبرى واخذت تنتقل الفئة الغنية من الفلاحين الى انتاج المحاصيل الملائمة المدن.

وبدأت تحفر آبار جديدة (يعتبر توفير الماء في القرى حاجة اساسية قصوى بسبب عدم هطول الامطار منذ بداية ايار وحتى تشرين الاول وجفاف معظم الانهار والجداول الصغيرة)

وقد رافق ذلك، استبدال الحيوانات كقوى محركة بالقوة الميكانيكية. حتى ان القوة الكهربائية قد استخدمت لهذا الغرض في القرى المجاورة لمحطة يافا الكهربائية.

اندثار ملكية الارض الجماعية والتمايز الطبقي فيالقرية:

ان اشتداد استغلال الاستثمارات تحت تأثير المنافسة ما بين استثمارات الفلاحين المشاركة في السوق، اصطدم بعائقة ملكية المجتمع (او الامتلاكالجماعي) للارض.

كما ان اعادة اقتسام الاراضي وتجميد الاستثمار المرتبط فيه يعيقان التطور السلعي وملاءمة الانتاج الزراعي بمتطلبات السوق. من جهة اخرى، ليست منتوجات الزراعة وحدها التي تحولت الى سلع، لكن الارض نفسها اخذت تتحول الى سلعة بعد الحرب، وهذا بدوره يتطلب سيادة الملكية الخاصة على الارض.

تحت تأثير جميع هذه العوامل، اخذت الملكية الجماعية للارض (المشاع) في الانحلال، لا سيما قرب المدن وفي المستعمرات اليهودية. ولقد ساعد الانجليز على انحلالالمشاع بمختلف الطرق، حيث سنوا في العام الاول لقيام الحكم المدني، قانونا يسمح لكل فلاح بتحديد ارضه. لكن اقتسام المشاع لم ينته في هذه الفترة، اذ اخذت هذه العملية تسير بوتائر متسارعة مع كل عام وتضم قرى جديدة.

بيد ان انحلال اراضي المشاع يساعد بدوره على التمايز الطبقي فيالقرية الذي كانت تعيقه سابقا اعادة اقتسام الاراضي الاجبارية. فمن جهة، اصبحت فئة الفلاحين الاغنياء تتميز بصورة غير واضحة، لكن قوية نسبيا من الناحية الاقتصادية، حيث بدأت هذه الفئة باستخدام السماد وسواه من منتوجات التقنية في استثماراتها، وقام هؤلاء (اي الفلاحون الاغنياء) بشراء الاراضي واستئجارها من جيرانهم ذوي الملكية الضعيفة او من الملاك الكبار. واخذ عدد الاجراء (العاملين بأجر عيني) والعمال الاجراء (بأجر نقدي) يزداد فيهذه الاستثمارات، واخذت هذه الفئة تلعب دور الوسيط بين القرية والمدينة بفتح التجارة الصغيرة وليس التعاونية كما كانت قبل الحرب. ومن جهة اخرى، اخذ القسمالاكبر من القرى في الانحدار نحو الفقر (نتحدث بشكل مفصل عن هذا في الفصل اللاحق)، ومن وسط هذه القرى اخذت تنفصل بوتائر متسارعة فئة الفلاحين المعدمة الارض والمجبرة على التحول الىعمال اجراء في استثمارات الفئة الغنية او في استثمارات الملاك الكبار من العرب واليهود او الهجرة الى المدينة بحثا عن العمل.

بسبب عدم وجود اية معلومات احصائية عن هذا الموضوع،اضطررنا الى تبيان معلومات جمعت بطريقة ليست منتظمة ولا دقيقة في هذا الجدول الذي يمثل اربع قرى: